Issn:2572-0023

# محمد بن أبي القاسم الهاملي -تكوينه ودوره في نشر العلم والمعرفة-

د/عيسى بن قبي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
abenkobbi@yahoo.fr

**الملخص:**

يهدف هذا البحث إلى التعريف بشخصية محمد بن أبي القاسم مؤسس زاوية الهامل، وذلك من خلال تتبع مختلف مراحل تكوينه العلمي، ثم التعرض للمجهودات التي بذلها في سبيل نشر العلم والمعرفة بين مختلف أفراد الشعب الجزائري، ومحاربة الأمية التي انتشرت بين صفوفه بفعل السياسة الاستعمارية الفرنسية المطبقة في البلاد آنذاك، على اعتبار أن هذه المجهودات، تمثل نموذجا للجهاد بالقلم، الذي ساير الجهاد العسكري، الذي خاضه الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي الاستيطاني.

**الكلمات المفتاحية:** زاوية الهامل، محمد بن أبي القاسم، السياسة الاستعمارية الفرنسية.

**Résumé:**

Le but de cette recherche est de présenter la personnalité de Mohammed ibn Abi Al-Qasim, le fondateur de zaouïa el Hamel, en suivant les différentes étapes de sa formation scientifique, et ces efforts pour diffuser la connaissance et la science, lutter contre l'analphabétisme, parmi les algériens, au cours de la période colonial.Tout en considérant que ces efforts représentent un modèle de Jihad par la plume, qui est la continuation du jihad militaire, que le peuple algérien a mené contre le colonialisme Français.

**les mots clés:**

Angle du Hamel, Mohammed bin Abi al-Qasim, Politique coloniale française.

**المقدمة:**

لقد تعرضت الجزائر سنة 1830 إلى الاستعمار الفرنسي، والذي تميز بطابعه الاستيطاني حيث سعى إلى الاستيلاء على الجزائر، معتبرا إياها جزء من البلاد الفرنسية، ولبلوغ هذا الهدف، ركز عمله في اتجاهين؛ إذ سعى من جهة إلى احتلال الأرض، واستغلال خيراتها، وتسخير سكانها لخدمته، معتمدا في ذلك على تفوقه العسكري. بينما عمل في الاتجاه الثاني على طمس هوية البلاد الحضارية، وذلك بالقضاء على مقوماتها من دين ولغة وعادات وتقاليد..غير أن الشعب الجزائر رفض الخضوع لسياسة الأمر الواقع منذ الوهلة الأولى لهذه الهجمة الاستعمارية، حيث برز من صفوفه قادة تكفلوا بمواجهة الاستعمار الفرنسي عسكريا من خلال سلسلة المقاومات الشعبية التي قادوها، وإلى جانب هذا هناك رجال قيضهم الله لهذه البلاد أخذوا على عاتقهم مواجهة المشروع الاستعمار الحضاري ، ومن ضمنهم محمد بن أبي القاسم مؤسس زاوية الهامل، فما هي ظروف نشأته؟ وكيف كان تكونيه العلمي؟ وما مدى مساهمته في نشر العلم والمعرفة، ومواجهة المشروع الحضاري الاستعماري لفرنسا؟

## 1- مولده ونشأته

هو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ربيح بن محمد[1]. ولد بالبادية قرب حاسي بحبح بشمال الصحراء، بمكان يسمى الحامدية في رمضان من عام 1239هـ الموافق لسنة 1823م. وقد كانت العائلة التي ولد فيها من الأسر العريقة بالمنطقة، ميسورة الحال ماديا، وذات علم ودين، ذلك أن جده الثاني محمد بن عبد الرحيم كان من العلماء الأجلاء في عصره، وترك خزانة حافلة بالكتب، تدل على درجته العليا في العلم، وتفقهه في علوم الدين واللغة. أما والده فبالرغم من أنه لم تصلنا أخبار تدل على نبوغه في العلم، إلا أنه عرف عليه حرصه الشديد وتفانيه في تعليم ابنه منذ نعومة أظافره [2].

**2- مراحل تعلمه**

لم يكن ليخرج في بداية حياته عما كان مألوفا من عادات وتقاليد الأسر الجزائرية في مجال التعليم آنذاك؛ حيث التحق مثل أقرانه من أولاد القرية بالكتاتيب، أين تعلم الكتابة والقراءة واستطاع أن يختم القرآن حفظا قبل أن يتجاوز الثالثة عشر من عمره، وقد أظهر منذ البداية شغفا كبيرا بالعلم وقدرة فائقة على حفظ القرآن، وتاقت نفسه إلى إتقان القراءات السبع والتجويد ليتم حفظ القرآن قراءة وتجويدا، - لعناية الحفاظ كل الاعتناء بهذين الفنين-[3].

و لم يكن في وسع قريته أن توفر له مبتغاه، نظرا لمحدودية المستوى العلمي بمدارسها، ومن هنا قررت أسرته أن ترسله في طلب العلم خارج المنطقة، خصوصا وأن الشيوخ الذين حفظ على أيديهم القرآن نصحوهم بذلك. فشد محمد بن أبي القاسم الرحال إلى بلاد القبائل في شمال الجزائر، حيث كانت من منابع العلم، فيها وزوايا كثيرة يرابط بها علماء صالحون، يعلمون لوجه الله كل من أمهم من أبناء المسلمين، وكان انتقاله سنة 1252هـ-1836م.

التحق في بداية الأمر بزاوية الشيخ على الطيار في البيبان، فأتقن فيها القراءات السبع والتجويد، واستعد فيها للعلوم بحفظ متونها، وكانت مدة إقامته في هذه الزاوية سنتين. وانتقل بعد ذلك إلى زاوية بن أبي داود في (زواوة) في ناحية آقبو بجبال القبائل، وهي من أكبر وأشهر الزوايا في الشمال الجزائري، وكان الطلاب يقصدونها من مختلف ربوع الوطن لطلب العلم والمعرفة، فاختارها آل محمد بن أبي القاسم لابنهم، اعتمادا على توجيهات أساتذته في الزاوية الأولى [4] . وقد تم انتقاله إلى زاوية ابن أبي داود في سنة 1254هـ - 1838م، والتي كان حفيد مؤسسها الشيخ أحمد بن أبي داود يدير شؤونها، وهو من كبار العلماء المدرسين والبارعين بها، فوجد فيه محمد بن أبي القاسم كل ما يبتغي، من علم غزير وإخلاص ونشاط، فلازمه وأخذ عنه العلوم الشرعية، فأتقنها على يده كل الإتقان، فبرع في التفسير والحديث والفقه وأصوله، وفي علم الكلام. كما درس في الزاوية فنون اللغة العربية، فبرع في النحو والصرف

والبلاغة، إضافة إلى المنطق وعلم الفلك والحساب. فأتقن هذه العلوم جميعها، ومما يذكر أن الشيخ أحمد بن أبي داود كان شديد الإعجاب بتلميذه محمد بن أبي القاسم، لما رأى فيه من حسن خلق، وذكاء، وقوة شخصية، كما أعجب بشدة تمسكه بدينه وولعه بالعلم، فقربه منه وأجازه للقيام بمهمة التعليم [5].

وهكذا فإن، فإن وجود محمد بن أبي القاسم بزاوية أبي داود أدى به إلى الارتقاء تدريجيا من درجة المتعلم إلى درجة المعلم، وكان ذلك سنة 1259هـ- 1843م حيث عينه أستاذه كمدرس للتلاميذ، وواعظ للعامة في أحد المساجد التابعة للزاوية( بزواوة) وكان عمره آنذاك لا يتجاوز العشرين سنة، وقد لقي استحسانا كبيرا من طرف العامة، وأعجبوا بدروس الوعظ والإرشاد التي كان يلقيها عليهم، وتزايد الجلساء من حوله، فارتقت مكانته وازدادت ثقة أستاذه به مما دفعه إلى استخلافه في الدروس العليا التي كان يلقيها بمعهد الزاوية، وفي إدارة وتسيير شؤون هذه الأخيرة. لقد استمر محمد بن أبي القاسم في نشاطه هذا مدة سنة كاملة، فبرهن على نضوجه في العلم وكفاءته في الإدارة، وحسن تأثيره في العامة بالوعظ والإرشاد، فازدادت ثقة شيخه به وأجازه [6]، ثم أذن له بمفارقته والرجوع إلى بلدته بعد أن أوصاه بأن ينفع غيره بما تعلمه، ويذكر البعض بأنه أوعز له بفكرة تأسيس زاوية هناك، تكون منارة للعلم وقبلة للعلماء وكان ذلك سنة 1260هـ - 1844م بعد أن أكمل ثلاث سنوات في جبال القبائل [7].

كان خلال هذه الفترة يتبع أخبار الاستعمار الفرنسي الذي لم يصل بعد إلى المنطقة التي كان يتواجد بها، وعن مواجهة الشعب الجزائري له خاصة مقاومة الأمير عبد القادر، وكان على الشيخ محمد بن أبي القاسم أن يحدد وجهته المستقبلية، شأن من وصل إلى سنه وعلمه؛ أي أن يختار بين طريق الكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي وذلك بشكل مقاومة أو الالتحاق بإحدى المقاومات المتواجدة آنذاك، أو يختار طريق العلم وذلك بإنشاء زاوية ونشر

التعليم بين العامة، والذي يعتبر في حد ذاته نوعا من أنواع الجهاد والمقاومة ضد المستعمر، وقد تبنى الاختيار الثاني.

### 3- جهوده في العلم والتعليم

استقر محمد بن أبي القاسم بعد عودته بموطن أجداده الهامل، وبدأ هناك ممارسة مهنة التعليم عن طريق إلقاء دروس الفقه والتفسير وغيرها بالمسجد العتيق المسمى مسجد التوتة، وفي مدة وجيزة شاع صيته بين أعراش المنطقة، وازدحم من حوله طلاب العلم. ويذكر صاحب كتاب الزهر الباسم في هذا السياق أن عددهم بلغ ثمانين طالبا، قدموا من مختلف القرى المجاورة، وكانت تكاليف إقامتهم على حساب الشيخ [8].

إن اشتغال محمد بن أبي القاسم بالتعليم لم يمنعه من الاستمرار في طلب العلم والاستزادة منه، حيث كان فيما بين 1273هـ - 1856م/1277هـ- 1861م؛ أي لمدة خمس سنوات يتنقل بين قريته وزاوية الشيخ المختار بأولاد جلال، قصد التعمق في دراسة الطريقة الرحمانية التي ينتمي إليها، فواصل دراسته هناك حتى أجازه شيخها المختار بن عبد الرحمان في إعطاء ورد الطريقة الرحمانية [9].

ويذكر أنه في أخر مرة زار فيها محمد بن أبي القاسم شيخه المختار، وجده يحتضر على فراش الموت، فأوصاه بخلافته في تسيير الزاوية بعد موته؛ نظرا لصغر سن أولاده الستة من جهة، ومن جهة أخرى نظرا لما وجده فيه من ذكاء وفطنة وسعة علم تؤهله لتحمل مثل هذه المسؤولية أحسن من غيره، وبالفعل فقد أشرف على تسيير زاوية الشيخ المختار بعد وفاة هذا الأخير عام 1278هـ- 1862م ولمدة سنة كاملة، ثم ترك الأمر لأولاده وعاد إلى موطنه الأصلي الهامل، شعورا منه بحاجة أبناء بلدته إليه أكثر من غيره، ولاستكمال رسالة التعليم التي كان يقوم بها هناك [10].

وبعد مدة من عودته إلى بلدته الهامل، وتحليله لظروف القرية والمناطق المحيطة بها، قرر بناء زاوية تكون منارة للعلم والعلماء. وهناك جملة من العوامل كانت وراء اتخاذه لمثل هذا القرار من ضمنها:

-تزايد عدد الطلبة بشكل كبير؛ حيث أنه في السنة الأولى لاستقرار الشيخ بالهامل بلغ عدد الطلبة الوافدين عليه 80 طالبا كما سبق ذكره، وكان عددهم في ارتفاع مستمر، وأمام هذه الوضعية أصبح المسجد العتيق لا يفي بالحاجة، مما استلزم توفير مكان أوسع وهياكل مؤهلة للعملية التعليمية (11).

- إن فكرة تأسي الزاوية أمنية قديمة، راودته منذ تخرجه من زاوية أبي داود، بل يذكر أن أستاذه هناك وجهه إلى ضرورة تأسيس زاوية بوطنه الأصلي، وازدادت هذه الفكرة ترسخا في ذهنه من خلال إدراكه للخدمات الجليلة التي يمكن أن تقدمها مثل هذه المؤسسات لعامة أفراد الشعب في المناطق التي استقر بها خلال فترة تعلمه. كما أن الحاجة لإيجاد مستوى رفيع من التعلم أصبحت ملحة في ظل ازدياد عدد الطلبة وإقبالهم على التعلم ورغبة الكثير منهم في مواصلة التدرج عبر مراحله، و لم يكن في وسع جل عائلات المنطقة آنذاك – بسبب عسر حالتهم المادية نتيجة الواقع الاستعماري- أن ترسل أولادها خارج المنطقة مثل ما حصل مع الشيخ محمد بن أبي القاسم فجاءت فكرة تأسيس الزاوية لسد هذا الفراغ.

كما تشير أيضا الرواية الشعبية المتداولة شفاهيا، أن تأسيس الزاوية تم استجابة لنصيحة قدمها الأمير عبد القادر للشيخ محمد بن أبي القاسم، في لقاء جمعهما بناحية البرين بالجبل الأبيض، وقد قد تم ذلك عام1259هـ- 1844م،عندما رغب في حمل السلاح والالتحاق بصفوف جيش الأمير، وقد كان هذا اللقاء بعد واقعة الزمالة، فكان رد الأمير أن المرحلة التي تمر بها البلاد تفرض على أمثاله القيام بجهاد من نوع ثان، وهو تعليم العلم وصيانة العقيد الإسلامية، لمواجهة الحملة التنصيرية التي جاءت مرادفة للحملة العسكرية للاستعمار الفرنسي (12).

والى جانب الأهداف الثقافية لتأسيس الزاوية كانت هناك أهداف اجتماعية؛ حيث رغب محمد بن أبي القاسم في إقامة مؤسسة اجتماعية، تكفل اليتيم وتأوي الفقراء والمساكين وتوفر الراحة لعابري السبيل، خاصة في ظل الأوضاع المزرية التي كان يعاني منها المجتمع الجزائري، جراء الهجمة الاستعمارية الفرنسية على بلاده. لقد استطاع محمد بن أبي القاسم تجميع سكان قرية الهامل حول مشروع الزاوية، حيث تمكن من استكمال بناء أغلب مرافقها في سنة واحدة، وكان ذلك في رمضان من عام1279هـ- 1863م، فاستقر فيها، وباشر التدريس هناك لوحده في بادئ الأمر، ثم استعان بمجموعة من الأساتذة بما فيهم الذين تكونوا على يده [13].

لم يقتصر جهد محمد بن أبي القاسم على منطقة الهامل، بل كان يتنقل من حين إلى آخر إلى باقي أرجاء الوطن، إما لزيارة العلماء من أجل أداء واجب الاطلاع على أحوالهم، أو رغبة منه في الاستزادة من علمهم، أو لإلقاء دروس الوعظ والإرشاد على عامة المسلمين [14]. وكان يلقى كل الاحترام والتقدير أينما حل، ويتهافت على لقائه الناس من كل حدب وصوب طلبا للاستفادة من علمه، ويصف أحد شهود العيان إقبال الناس على الشيخ خلال إحدى زياراته بقوله: " **ازدحم أهل الجزائر صغارا وكبارا لرؤية الشيخ... حتى اختلط السيد بالمملوك، والسوقة بالمملوك" ويقول أيضا " كلما نزل بقرية اجتمع حوله الخلق حتى يبلغ العدد ما يقضي العجب**" [15]. ولا عجب في هذا الوصف، ذلك أن احترام العلماء وإجلالهم كانت من شيم وخصال الشعب الجزائري آنذاك [16].

**4- وفاته**

وهكذا وبعد حياة حافلة بجلائل الأعمال، سخرها لخدمة دينه ووطنه معلما ومربيا لأبنائه. والتحق بالرفيق الأعلى في بويرة الصحراء في طريق عودته من الجزائر العاصمة إلى زاوية الهامل، وكان ذلك عشية يوم الأربعاء الفاتح من محرم عام 1315هـ الموافق لـــ 12 فيفري 1897م [17]. وفي 14 جويلية أقيمت له حفل تأبيني بشكل رسمي في جامع لامين ببوسعادة، وحضر الحفل الضباط الفرنسيون والمدنيون الرسميون. وقد خطب قائد المكتب العربي ببوسعادة الضابط

كروشار، منوها بدور الشيخ ومساعدته لفرنسا – كما صرح- في نشر رسالتها الحضارية التي فهمها بذكاء، وبعد كروشار خطب أعيان المنطقة، ومنهم ابن أخ الشيخ المتوفي، وقاضي بوسعادة، والشيخ إبراهيم رحماني، وكلاهما ذكرا بالأصول الشريفة للشيخ، وبفضائله وانتهى الحفل بإقامة مأدبة كبيرة(زردة) جمعت الفقراء والمساكين [18].

وهنا تجدر الملاحظة إلى أن حضور السلطات الفرنسية الرسمية هذا الحفل، وتنويهها بفضائل الشيخ حسب وجهة نظرها، لا يعبر عن أسفها وتأثرها بوفاة الشيخ محمد بن أبي القاسم، إنما يدخل في إطار سياسة استعمارية خبيثة، حيث عجزت عن تسخيره خلال حياته لخدمة أغراضها، وفشلت في عرقلة جهوده الرامية للحفاظ على الهوية الوطنية ومقوماتها الدينية، فحاولت في المقابل استثمار وفاته واستغلاله؛ ا للتقرب من سكان المنطقة وكسبهم، وذلك لتمرير مشاريعها الاستعمارية، خاصة وأنها كانت على دراية تامة بالمكانة السامية والقدر الكبير الذي كان يحظى محمد بن أبي القاسم أثناء حياته.

## 5- آثاره العلمية

إضافة إلى الأعمال الجليلة التي قام بها الشيخ محمد بن أبي القاسم، فقد خلف العديد من الآثار المكتوبة على شكل رسائل نذكر منها: رسالة في أن الخلواتية والشاذلية طريقة واحدة، رسالة في جواز الإفطار للتويزة في شهر رمضان بالشروط المعتبرة، رسالة في مقامات الأنفس السبع، رسالة في التحرك حال الذكر، الأسمائية في التوسل بأسماء الله الحسنى، رسالة في الهجرة، رسالة في تحريم الدخان [19]. إن ما خلفه الشيخ محمد بن أبي القاسم من أثار علمية مكتوبة، تعتبر جد قليلة بالنسبة لرجل في مثل نبوغه العلمي، قضى جل حياته في تعلم العلم وتعليمه، غير أن اهتمامه بحاجيات المسلمين وتكوين رجال المستقبل شغله عن تأليف الكتب، كما أن الشهرة التي منحها إياه الطلبة الذين تخرجوا على يده جعلت زاويته تتفوق على باقي الزوايا التابعة للطريقة الرحمانية من حيث الشهرة العلمية في مدة وجيزة، وتوسع أتباعه حيث انتشروا في مختلف أنحاء البلاد ، فهناك من تولى مناصب رسمية كالقضاء والإفتاء، وهناك من امتهن

التعليم سواء داخل الزاوية أو خارجها، وفي هذا الإطار هناك من المتخرجين على يد الشيخ من تجاوز نشاطهم حدود الوطن إلى البقاع المجاورة ومن أبرزهم [20].

الشيخ الحسن بن أحمد البزيدي، الذي انتقل إلى جامع الأزهر لاستكمال دراسته. وذكر لي شيخ الزاوية خليل القاسمي أن نفقة هذا الطالب كانت على حساب الزاوية، وقد درس هناك مدة سنة تحصل في نهايتها على شهادة العالمية؛ وهي أعلى شهادة يمنحها جامع الأزهر لطلبة العلم المتخرجين، ونظرا لمستواه العلمي فقد احتفظ به كمدرس هناك [21]. الشيخ عبد الرحمان الديسي وقد تخرج من الزاوية على يد مؤسسها، وعمل فيها بعد ذلك كمدرس ومن، حيث ولاه أستاذه هذه المهمة بالزاوية رغم كونه كفيف البصر، وواصل القيام بأعباء التدريس حتى وافته المنية، تاركا وراءه عددا معتبرا من المؤلفات تزيد عن العشرين منها، " الموجز المقيد في شرح منظومة عقد الجيد، وتحفة الأفاضل في ترجمة سيدي نائل،" المناظرة بين العلم والجهل... [22]. وهناك من تلاميذ الشيخ محمد بن أبي القاسم وتولى وظائف رسمية ومن أبرزهم الشيخ محمد بن أبي القاسم الحفناوي، فبعد تخرجه من الزاوية انتقل إلى العاصمة، حيث شارك في تحرير جريدة "المبشر" من 1874 إلى 1926، ودرس بالجامع الكبير بمدينة الجزائر العاصمة ابتداء من 1897، ثم تولى منصب الإفتاء المالكي هناك [23].

وما يمكن أن نلحظه في حياة هذه الشخصية ، أنه عاش أربعة وسبعون سنة، سخر منها أكثر من خمسين سنة لتعليم العلم ونشره بين مختلف فئات شعبه، فعاش لغيره أكثر مما عاش لنفسه، و لم تقتصر خدمته لوطنه على الجانب العلمي فقط، بل اهتم بالجوانب الاجتماعية إذ عرف عنه عنايته الشديدة باليتامى وكفله لهم، كما اهتم بالجوانب الاقتصادية خدمة للصالح العام من خلال إشرافه وتمويله لبناء السدود، واستصلاح الأراضي ببلدة الهامل، وتسخير إنتاجها لسد حاجيات الزاوية، ولقد اهتم أيضا في سن مبكرة بواقع البلاد السياسي ، فبالرغم من موقفه الحيادي – على الأقل ظاهريا– إزاء الثورات الشعبية المناهضة للاستعمار الفرنسي، وعدم إصداره لمواقف سياسية علنية معارضة للوجود الفرنسي بالجزائر، وحتى عندما أعلن الشيخ الحداد من صدوق الثورة ضد الفرنسيين سنة 1871 إلى جانب أحمد المقرني باسم

الطريقة الرحمانية التي كان ينتمي إليها، ورغم أن الشيخ محمد بن أبي القاسم كان تربطه علاقة نسب مع عائلة المقراني، لم ينخرط علنا في المقاومة، غير أنه في المقابل استقبل أفراد عائلة المقراني الفارين من العدو، بعد أن أخمدت الثورة التي قاموا بها، وحماهم وعلم صغارهم وآوى كبارهم، حيث خصص لهم حيا سكنيا بجنب الزاوية ، والذي أصبح يعرف بحي المقرانيين (24).

**الخاتمة**

لقد كان محمد بن أبي القاسم نموذجا للأشخاص الذين قيضهم الله لخدمة هذا الوطن، والدفاع عن مقوماته، والحفاظ على هويته الإسلامية. لقد بذل مجهودات ضخمة لصالح التعليم العربي في البلاد الجزائرية، حتى وإن تم ذلك بطرق تقليدية لم تصل درجة الإبداع، فقد ساهم في المقابل في حماية التعليم العربي من الاندثار، عكس ما كانت تبتغى السلطات الاستعمارية الفرنسية، ويكفي في هذا المجال الاستدلال بالملاحظة التي وردت على لسان مستشار الدولة الفرنسية "ليون بيكي" بمناسبة إعداد تقرير لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي؛ التي كان هو أحد أعضائها، والتي حضرت الى الجزائر عام 1891 بهدف الاطلاع على أحوال السكان، حيث صرح بما يلي "إن التعليم في الجزائر الآن (1891) قائم تحت إشراف الأهالي أنفسهم، والزوايا حيث يتعلم فيها التلاميذ القرآن وتفسيره؛ هي المؤسسة التعليمية الوحيدة في المستعمرة" (25).

فإذا كان هناك مجاهدون وقفوا في وجه الغزو العسكري الفرنسي بالسلاح فهناك من وقف في نفس الخندق، ليواجه الغزو الثقافي الفرنسي الذي رافق الغزو العسكري.

**الهوامش:**

(1) يقال إن نسبه ينتهي إلى النسب الشريف وشجرة هذا النسب معلقة داخل مسجد زاوية الهامل، ونحن نأخذ هذا النسب بتحفظ شديد. ذلك أننا إذا قمنا بإحصاء العائلات والأعراش التي تربط أصولها بالنسب الشريف في الجزائر فقط، وجدنا عددها من حيث الكثرة منافيا لكل عقل ومنطق فعملية حسابية بسيطة تجعل من المستحيل أن يتزايد أحفاد الرسول صلى الله عليه وسلم. من بنته فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) بهذه الكثافة. ولعل مرد هذه الظاهرة هو الاحترام والتقدير الذي يكنه عامة المسلمين لآل البيت وانتساب العائلات لهذا الأصل يجلب إليهم الاحترام

والتقدير والحظوة. عبد الله بن محمد بن الشارف: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، سوق البلاط تونس، 1929، ص73.

(2) محمد بن الحاج محمد، الزهر الباسم في ترجمة الإمام محمد بن أبي القاسم، المطبعة الرسمية التونسية، 1308هـ، ص 11.

(3) لقاء مع الشيخ السابق لزاوية الهامل المرحوم خليل القاسمي بتاريخ 20 جويلية 1992.

(4) Octave Depont – Xaver Copoloni, Les Confréries religieuses musulmanes, J maison – neuve Paris. 1987, P407.

(5) أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق محمد أب الأجناف، عثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، سوريا 1982، ط1، ص352.

(6) محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، مطبعة التعاون، دمشق، ج 3، ص60.

(7) المرجع نفسه، ص63.

(8) محمد بن الحاج محمد، المرجع السابق: ص26.

(9) Octave Depont – Xaver Copoloni, Ibid. P407.

(10) محمد علي دبوز، المرجع السابق ص65.

(11) محمد بن الحاج محمد، المرجع السابق، ص26.

(12) إن هذه الواقعة وصلت إلينا على شكل حكاية شعبية متداولة ، و لم يعثر على وثائق مكتوبة تؤكدها، إلا أن الشيء المؤكد هو وجود علاقة ربطت بين الأمير عبد القادر والشيخ محمد بن أبي القاسم، حيث يحتفظ برسالتين أرسلت من طرف الأمير عبد القادر إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم ، وبالرغم من أن مضمونهما لا يحمل سوى عبارات التحية والسلام وتبادل الود، إلا أن يوسف نسيب في كتابه واحة بوسعادة ص26، يرى أن خلو الرسالتين من أي صبغة سياسية أو عسكرية، مرده إلى أن الرسالتين تم إرسالهما مع رسول اجتاز مسافات طويلة، ضمن المناطق التي يراقبها العدو الفرنسي آنذاك، مما يجعل التبليغ الحقيقي لمضمون وأهداف المراسلتين يكون شفويا، أما الرسائل المكتوبة ما هي إلا جواز مرور، أو رسائل اعتماد؛ تؤكد على مصدرها ووجهتها ، ونحن نضيف على هذا، أن هذه الاتصالات ليست غريبة؛ لأن الأمير سعى في إطار عمله الجهادي إلى الاتصال بمختلف رؤساء القبائل وشيوخ الطرق الصوفية، ذوي التأثير الكبير على أفراد الشعب الجزائري ليمدوه بالدعم المادي والبشري، ويكونوا منابر إعلامية له في مواجهة الدعاية الاستعمارية، وفي هذا الإطار ربما ما كان يقدمه الشيخ محمد بن أبي القاسم من دعاية لصالح الأمير أفيد لهذا الأخير من التحاقه بجيشه.

Yousef Nacib, Culture Oasienne- Boussaâda- Giralt imprimeur photograveur, Alger1900. P26.

(13) أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1998ط1، ج4، ص161.

(14) يذكر أنه لما عجز عن لما عجز عن أداء واجب العزاء، بسبب ظروفه الصحية، وتقدمه في السن، و لم يتمكن من حضور الحفل التأبيني الذي أقيم بالجامع الكبير في العاصمة، بمناسبة وفاة أحمد التيجاني شيخ الطريقة التيجانية سنة 1897، أرسل نيابة عنه ابن أخيه محمد بن الحاج محمد.

أنظر: عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب،1984 ص 254.

(15) محمد بن الحاج محمد: المرجع السابق، ص 61.

(16) جاء في تقرير ديبوا تانفيل القنصل الفرنسي بالجزائر سنة 1809 الموجه إلى السلطات الفرنسية في عرضه حول توفير أسباب النجاح للحملة الفرنسية التي بدأ في التخطيط لها منذ ذلك الوقت ضد الجزائر يوصي " بوجوب العمل لكسب المرابطين الذين هم يتمتعون باحترام كبير من طرف السكان وينقادون لهم انقيادا تاما ". أنظر: جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1987، ص 250.

(17) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحديث، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان 1983 ط3، ص 335.

(18) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص 162.

(19) محمد بن الحاج، المرجع السابق، ص 65.

(20) Octave Depont – Xaver Copoloni, Ibid. P407.

(21) محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص81.

(22) عمر بن قينة، الديسي حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص14.

(23) عادل نويهض، المرجع السابق، ص121.

(24) Octave Depont – Xaver Copoloni, Ibid. P407.

(25) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ط3 ص132.